فصليتان علميتان- تخصّصيتان دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الأولى، العدد الأول، خريف و شتاء ١٤٣٩(المتوالي١). من صفحة ١٧ الى ٢٧

توثيق نهج البلاغة وتأريخه على ضوء المعايير الأدبية والبلاغية: دراسة تحليلية لأول بحث غربي ممنهج حول نهج البلاغة

تأريخ الاستلام: ١٤٣٨/١١/٦ تأريخ القبول: ١٤٣٩/١/٤

على حسن‌نيا*

الملخص

دخلت دراسات المستشرقين حول حديث الشيعة مجالات تخصصية وجديدة، وذلك بالتزامن مع انتصار الثورة الإسلامية، وبالتحديد في العقدين المنصرمين، فأصبحت تغطي جانبا واسعا من الدراسات التي تدور حول الحديث الشيعي وتفسير نص الروايات ودراستها، فقد كانت دراسة «التحليل الانتقادي لنهج البلاغة» منطلقا لتلك الأبحاث، كما شكلت منعطفا في قضية نهج البلاغة في مراكز الغرب العلمية، ونظرا إلى المساعي الثمينة التي بذلت في تلك المجالات، أصبحت نهج البلاغة لافتة لنظر الباحثين. إنّ تقديم تاريخ موثوق به حول نهج البلاغة واستعادة تلك الوثائق التي لم تلتف إليها الأنظار وبقت مغفولة، في النصوص العربية القديمة، ومَعرِفَةِ مفردات الخطب والرسائل في الأشعار والنصوص المنثورة الجاهلية، والدراسة المقارنة بين مفردات القرآن الكريم ونهج البلاغة، ونقلِ أفكار العلماء المتأخرين والمتقدمين وتحليلها، والتركيز على الشبهات التي تدور حول نهج البلاغة، وبذل المساعي للإجابة عليها، وأخيرا تقديم قضايا منتظمة، بصفتها أول المساعي في الأجواء العملية الغربية في هذا المجال؛ كل تلك القضايا تعد من القضايا اللافتة للنظر والمهمة في هذا الكتاب الذي نريد النظر فيه. يحاول هذا البحث أن يلقي نظرة على مسار الأبحاث التي أجريت على يد الغربيين في مجال حديث الشيعة بإيجاز، ثم يقوم بدراسة البحث المذكور وتحليله، ويخضعه للنقد.

الكلمات الرئيسية: التوثيق، المستشرقون، نهج البلاغة.

* أستاذ مساعد بجامعة شاهد (a.hasannia@shahed.ac.ir).

Archive of SID
www.SID.ir

المقدمة

إنّ الدراسات الحديثة التي أجراها المستشرقون لها نطاق واسع. فكانت دراسة آراء مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية وبالتحديد الشيعة والسنة منها، محط اهتمامهم، فنشروا مئات الأبحاث والكتب والدراسات طوال الأعوام المنصرمة. و في أيامنا وفي المكتبات التخصصية، زاد عدد كتبهم في مجال الحديث، حتى أصبحت دراساتهم تشكل فرعا علميا عند المسلمين فركزوا عليها. ثم إنّ نقد آثارهم إلى جانب الأبحاث المعاصرة بصفتها نظرة من خارج أسوار الدين إلى الدين، ومعرفة الهواجس والشبهات والقضايا العلمية وما آلت إليها دراسات المستشرقين من نتائج، ودراستها دراسة ممنهجة وبنيوية، أصبح يشكل ضرورة علمية وبحثية. إنّ الكثير من دراسات المستشرقين تعاني من نقاط ضعف عديدة، منها غياب الاعتماد على المصادر الرئيسية للشيعة وللسنة، والانطلاق من مواقف مغرضة، وبث الشبهات، والتأثر بتيارات الاستشراق، والجري وراء تحقيق مصالح سياسية وحكومية (حسن‌نيا، ٢٠١٦، الفصل الخامس).

إنّ الدراسات الحديثة للمستشرقين بمفهومها العام، تعاملت مع النصوص السنية في الغالب، لكن نشاهد في القرن الراهن انطلاقة رؤية جديدة في مجال دراسات حديث الشيعة، هذه التطورات نمت نموا كبيرا بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، وانطوت على دراسات واسعة النطاق وخاصة في العقدين المنصرمين، وتمحورت حول حديث الشيعة، ودراسة النصوص الروائية وتحليلها. تدل الأبحاث على أنّه رغم المساعي الجديرة حول معرفة دراسات المستشرقين في مجال القرآن الكريم والدراسات المهتمة بالحديث بشكل عام، واهتمام الكثير من الباحثين داخل البلاد بهذه القضية (المصدر نفسه: قسم ١-١-٢)، لكنه لم يُهتَمّ بمجال معرفة الدراسات المتزايدة للغربيين حول حديث الشيعة، فلا نشاهد الكثير في هذا المجال.

إنّ معرفة تلك الدراسات، و تقييمها، وتحليلها ونقدها، يعاني من مشكلات كثيرة، فالدراسات المنجّزة داخل البلاد جاءت أغلبها في مجال ترجمة عدد قليل من تلك الآثار، وانصبت المحاولات حول الشهيرة منها، ويؤسفني القول بأننا نشاهد في تلك الترجمات الكثير من المشاكل، منها عدم المراجعة إلى النص الرئيس، والاكتفاء بالترجمة العربية أو الإنجليزية، إضافة إلى ضعف الترجمة نفسها. أما في مجال نقد الكتب الغربية، لم نشاهد عملا كبيرا أو كتابا مهما، ما عدى الاهتمام بعدة نماذج مهمة وبارزة، رأت النور في السنوات الأخيرة.

في هذا المقال، نركّز الاهتمام على دراسة إحدى تلك المساعي القيمة والجديرة التي أُنجِزَت في الغرب، ونضعها في ميزان النقد والتقييم. تُعتَبَرُ الدراسة التي نرنو النظر في ثناياها من أول المساعي التي أنجزتها المؤسسات والمراكز الأكاديمية الغربية. هذه المساعي العلمية أنجزت على يد عالم مسلم شيعي، وفي إحدى المراكز الغربية المهمة في مجال معرفة الشيعة والإسلام في يومنا هذا.[١] ألف الكتاب في أولى سنوات انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية بعام ١٩٧٩، و من الناحية التاريخية يحتل أهمية خاصة إضافة إلى المجال التخصصي الذي كُتِبَ فيه.

سوابق الدراسات الغربية في مجال حديث الشيعة

١ .الدراسات الشيعية عند الغربيين

تعود معرفة الغربيين للشيعة إلى فترة الحروب الصليبية في القرون الوسطى، ثم وبعد أن فُتِحَت أبواب العلاقات التجارية والسياسية بين الدول الأوروبية وإيران في العهد الصفوي، وتوفرت الأرضية لزيارة السُّيّاح إلى إيران، سنحت الفرصة لتعرُّفهم على جانب من أفكار الشيعة وقادتهم وتقاليدهم وطقوسهم وانتماءاتهم، فقام بعض السُّيّاح بكتابة ما شاهدوه وخرجت هذه المحاولات في إطار التقارير (المصدر نفسه: ٣-١).

بدأت الدراسات الجامعية في مجال معرفة الشيعة في أوروبا بعد إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة أكسفورد[٢] (في بريطانيا) وكذلك لايدن[٣] (في هولندا) في النصف الأول من القرن السابع عشر (Kohlberg, 1987: 40).[٤] إنّ تلك الدراسات استمرت في القرن اللاحق لها مع أنها كانت متفرقة، لكنها بلغت ذروتها عندما اقتضت مصالح الدول الاستعمارية الغربية في الشرق الأوسط، تنظيم الدراسات الممنهجة والمستمرة في مجال الإسلام والمذاهب الإسلامية، بغية معرفة تلك المجتمعات معرفة دقيقة (تقي‌زاده‌داورى، ١٢: ٢٠٠٧؛زماني، ٢٠٠٩: مقدمة كتاب).

تعود بداية الدراسات المنتظمة والجدِّية في مجال التشيع إلى الستينات من القرن المنصرم، إذ انتشرت نصوص كثيرة في النجف الأشرف وإيران، كما انطلقت دراسة تاريخ إيران في العهد الصفوي والقاجاري، نظراً إلى استخدام الآلية التي منحتها العلوم الاجتماعية إلى الباحثين، والاهتمام بحذافيرها، (Kohlberg, 1987: 40) يقول اتان كلبرج[٥] المستشرق اليهودي الشهير والباحث في مجال الشيعة: إنّ الإسلام الشيعي بقي لفترة طويلة للكثير من الباحثين لغزاً؛ فلم يكن بحوزتهم معلومات كثيرة عن هذا المذهب، وإن كانت فمصدرها هو المصادر السنية والمتبعثرة. تغير الوضع في منتصف القرن التاسع عشر إلى حدٍّ ما، والسبب يعود إلى اعتماد الكثير من الباحثين مثل جولدتسيهر[٦] (١٨٥٠-١٩٢١) ونولدكه[٧] (١٨٣٦-١٩٣٠) في دراساتهم على المصادر الشيعية والسنية إلى جانب البعض، فخرجوا بمواقف أكثر اتّزاناً. انتشر هذا الموقف بعده في أوروبا وأمريكا، وقامت أقسام الاستشراق والإلهيات والأديان والتاريخ والأركيولوجية في إطار مركّز وغير مركّز، بدراسة مختلف جوانب الإسلام وحياة المسلمين، فيما بعد تمّ تقوية ذلك التيار بعد إنشاء كرسي لدراسات الشيعة في الغرب بشكل تخصصي والقيام بدراسات منتظمة (Kohlberg, 1987: 40).

Archive of SID

www.SID.ir

مما لا شك فيه أنّ الدراسات الشيعية الغربية، بدأت متأخرة مقارنة بالدراسات الإسلامية، وذلك في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، بتأثير من التطورات السياسية-الاجتماعية التي شهدتها كل من إيران ولبنان والعراق، وعرفت الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ منعطفا لتلك الدراسات (حسيني، ١٣٨٨).[٨] بالرغم من تلك المساعي التي شهدتها الفترة المنصرمة، إلا أنّ هذا الفرع مازال في بداية طريقه، ولهذا لا نرى عند الغربيين سجلا شاملا وناصعا حول الدراسات الشيعية (راد، ٢٠١٤: ١٤٤).

ذكر بعض الباحثين سببين لذلك الأمر المهم، وهما «قلّة البحوث والدراسات باللغات الأوروبية حول التشيع الامامي، وصعوبة الحصول على المصادر الأولية لها من جهة وانتشار النظرة الخاطئة التي يتبناها أهل السنة تجاه الشيعة في صفوف المستشرقينمن جهة أخرى»، فجعل السببان الدراسات الشيعية تعيش حالة من التهميش في الغرب. إنّ السبب الأخير هو الذي جعل الشيعة تعرف فرقة هامشية أو صاحبة البدع في الفكر الإسلامي، وعدم اعتبار القراءة الشيعية للإسلام قراءة رسمية ومقبولة (المصدر نفسه: ١٤٤). يقول اتان كلبرج تقييما منه للدراسات الغربية حول الشيعة: بشكل عام إنّ عدد الدراسات التي تناولت الشيعة الإمامية حتى منتصف القرن العشرين كانت قليلة؛ ذلك أنّ المجلد الأول من مجموعة الفهرس الإسلامي[٩] الذي انتشر في الفترة الواقعة بين ١٩٠٦ حتى ١٩٥٥ كان قد أفرد صفحتين اثنتين من ٨٢٤ صفحة لفهرسة عناوين المقالات الخاصة بالتشييع الاثنى عشري.[١٠] مع أنّ أول المساعي في تكوين نظرة شاملة وضعها دونالدسون[١١] في كتابه المسمّى بـ«دين التشيع»،[١٢] في عام ١٩٣٣، لكن تبقى الكتب التي تطرقت إلى هذا الموضوع قليلة (Kohlberg, ibid).

لقد قدم الراحل فلاطوري[١٣] (١٩٢٦-١٩٩٦) تقريرا حول حصة الدراسات الشيعية بين الدراسات الإسلامية قبل سنوات، واعتمادا على ما قدمه فإنّ هناك مقالة واحدة تتحدث عن الشيعة الاثنى عشرية بين الأبحاث والكتب التي كتبت حول الإسلام، وهذا العدد أقلّ بكثير من الكتب والأبحاث التي ركّزت الاهتمام على الزيدية والإسماعيلية هذا وكان ما ذهب إليه فلاطوري محل تأكيد فرهاد دفتري[١٤] في مقدمة مجموعة نشرها مؤخرا، تحمل عنوان "مطالعه إسلام شيعي" تاريخ، إلهيات وفقه (Daftary, 2013). ذهب سيد حسين نصر وعند الحديث عن أهمية العلاقة بين الفيلسوف الفرنسي هنري كربون والعلامة سيد محمد حسين طباطبائي؛ بأن غياب العلاقة العلمية الصحيحة بين الباحثين الغربيين، وعلماء الشيعة البارزين، هو السبب الكامن وراء عدم معرفة الغرب للشيعة (Tabatabai, 1975: English Introduction by the Translator)

٢. الدراسات الإمامية عند الغربيين

ليس للدراسات الإمامية أو الدراسات ذات الصلة بالاثنى عشرية حالة أفضل من الدراسات الشيعية. ألقى كلبرج محاضرة في مؤتمر «معرفة الشيعة» في تل أبيب حول الدراسات الغربية للتعرف على الشيعة، وقام بالحديث بالإسهاب عن الدراسات القليلة التي أنجزت حول الشيعة، وخاصة الشيعة الأنثى عشرية، و أنّ تلك الدراسات القليلة جاءت على يد أشخاص يحظون بدعم الحكومات أو المؤسسات غير الحكومية في السنوات المنصرمة، وهم قد سافروا إلى إيران لأسباب ما؛ إنه يذهب إلى أنّ المساعي التي بذلت في حقل دراسة النصوص الشيعية وببليوجرافيا كتبها ومعرفة شخصياتها و ترجمة نصوصها لا ترتقي إلى المستوى المأمول.

إنّه لا يستنكر أنّ الدراسات الشيعة الاثنى عشرية تأتي في المرحلة الثانية من حيث الأهمية مقارنة بالفرق الإسلامية الأخرى، ويتحدث عن المؤتمر الإسلامي في ستراسبورغ الذي أقيم عام ١٩٦٨ بصفته منعطفا وحادثة فذة في الدراسات الإمامية، ويرى أنّه بالرغم من التطورات الجوهرية التي شهدها العقد المنصرم، إلا أنّ التشيع لم يحظ بأهمية كبرى في الدراسات الإسلامية، حتى أرغمت الثورة الإسلامية الجميع بأن يعيد النظر في هذا المذهب (ibid).

٣. الدراسات الحديثة الشيعية في الغرب

إنّ المساعي الغربية حول الحديث الشيعي تعتمد أساسا على المصادر والآثار السُّنِّية، وحتى السنوات الأخيرة قلما نشاهد من يضع الروايات الشيعية على محك النقد والتحليل أو يقوم بنقلها، يمكن القول أنّ أواسط القرن العشرين قد شكل منطلقا لاهتمام المستشرقين بالحديث الشيعي وبالتزامن مع الدراسات العامة والتاريخية حول الحديث عند المستشرقين. أظهر جيرار له كمت[١٥] (١٩٢٦-١٩٩٧) في مقال له عام ١٩٧٠ أنّ الغربيين لا يعرفون شيئا عن حديث الشيعة الإمامية (هارالد، ١٩٨٩: المقدمه). لكن الأحوال تغيرت منذ السبعينات من القرن المنصرم، منذ ذلك الحين حاول «اتان كلبرج» أن يقدّم العون إلى هذا الأمر من خلال إلقاء الضوء عليه.

منذ منتصف القرن العشرين، تغيرت بوصلة التغييرات فاتجهت الأنظار نحو معرفة الشيعة وعقائدها وأسسها من بوابة المجموعات الروائية. وسار الغربيون من تلك العملية البطيئة في معرفة الشيعة بشكل عام، نحو استيعاب الشيعة الاثنى عشرية ومعرفتها، وسعوا إلى معرفة أسسها العقائدية والفكرية، وفي هذه المعرفة دخلوا مجالات أكثر تخصصية تتطرق إلى الروايات الإمامية، بلا شك أنّ مساعي كلبرج قد مثلت منعطفا في مساعي الباحثين الآخرين، ويمكن اعتبار الآخرين تابعين له، حتى ذهب البعض مثل موتسكي[١٦] أنّ الباحثين الآخرين كانوا تابعين له كلهم (موتسكي،٢٠١١: ٤١). لا يخفي أنّ هذا القول فيه الكثير من المبالغة، لكن كما قلنا سابقا، يمكن أن يصدق القول هذا في جانب منطلق المساعي المبذولة حول الحديث الشيعي، واعتباره بداية لمساعي الغربيين في هذا المجال. يصرح «موتسكي» أنّ بداية إعداد الأحاديث غير

Archive of SID

www.SID.ir

السنية، تعود إلى القرن الثاني، كأن عملية توحيدها المعياري[١٧] كانت أطول من روايات أهل السنة (المصدر نفسه).

هذا ويعترف بأنه على الرغم من تأكيد الغربيين على الحديث السُّنّي، لكن هذا لا يعني أنّ الشيعة ورواياتها لم تحظى بأهمية عندهم، ولم يركزوا عليها، فهناك أدلة كثيرة تبين أنّ روايات النبي الأكرم وأهل البيت (ع) ، والصحابة في القرون الأولى للهجرة، نقلها كل من الشيعة وأهل السنة والجماعة نقلا متشابها، وثم جمعت بين دفتي الكتب في المجتمعات التي تنتمي إلى تلك المذاهب.

بداية الاهتمام بأحاديث الإمام علي (ع) ونهج البلاغة[١٨]

كانت اللغة العربية -حتى فترة متأخرة -مهجورة في أوروبا، بعد القرن الرابع عشر، سمحت الكنيسة بغية التبليغ وتوحيد صفوف الكنائس الشرقية والغربية، بتأسيس كرسي للغة العربية والعبرية والكلدانية في الجامعات، ويبدو أنّ ادوارد بوكاك[١٩] كان أول مَن رتب دورات تمحورت حول مدح الإمام علي (ع) لطلابه، عام ١٦٣٦ حول اللغة العربية، بمناسبة حصوله على رتبة أستاذ كرسي اللغة العربية، في جامعة أكسفورد وذلك بعد محاضرة ألقاها باللغة اللاتينية. ثم تولى رئاسة تجار البريطانيين المتجهين إلى سوريا، وبعد تعلم اللغة العربية، أهدى إلى مكتبة جامعة أكسفورد مجموعة كبيرة من النسخ الخطية الثمينة، فيما بعد منحوه رئاسة كرسي اللغة العربية (غضنفري، ٢٠١٥: ١٠٤-١٠٣).

تعرفت أوروبا إلى مجموعة من أربعة آثار أخرى من أحاديث الإمام علي (ع) باللغات اللاتينية، بعد أقل من قرن من مؤلفيها: بوكاك، كاييبز،[٢٠] ولت،[٢١] ووارنر،[٢٢] وويننن،[٢٣] واستيكل،[٢٤] نشروا مجموعات في أعوام ١٧٤٥ و١٧٤٨ و١٨٠٦ و١٨٣٤، في ليدن وأكسفورد باللغة اللاتينية. كما انتشرت المجموعتان الثالثة والرابعة باسم واحد وفصلت بينهما فترة زمنية وهي ثلاثة عقود. هذا ونشر أثران مستقلان آخران، باللغة الإنجليزية قبل تلك الفترة، عام ١٨٠٥ للكاتب وستون[٢٥] في لندان و١٨٣٢ لـ«وليام يول»[٢٦] في اسكتلندا، تمحورتا حول أحاديث الإمام علي (ع). ونشر فلايشر[٢٧] ترجمته الألمانية *اللالالي ومأة كلمة* عام ١٨٣٧، وهكذا وبعد مرور قرنين من تلك الفترة التي ألقت روح بلاغة كلام الإمام علي (ع) بظلها على قلب بوكاك، قدّمت على أقل تقدير خمسة آثار و أربعة ترجمات لاتينية، من أحاديث الإمام علي (ع) باللغة الألمانية والانجليزية إلى الدراسات الأوروبية (غضنفري،٢٠١٤: ١٠٤-١٠٣).

هناك الكثير من الترجمات باللغات الأوروبية وخاصة الإنجليزية، في مجال ترجمة أحاديث الإمام علي (ع) ونهج البلاغة، وذاع صيتُ بعضها، وهناك بعض المترجمين صبوا اهتمامهم على ترجمة خطبة واحدة أو رسالة أو قسم من نهج البلاغة.[٢٨]

اول دراسة حديثية تخصصية ومنتظمة في الغرب

بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ وقبيل انتصارها، شاهدنا ظهور كتب مستقلة في حديث الشيعة بشكل محسوس وتغيير موقف "تجاهل الشيعة وخاصة الشيعة الإمامية"، إلى "دراسة وبحث حول الشيعة"، بصفتها مجموعة عقائدية-سياسية. بعبارة أخرى لم نشاهد حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية أي كتاب مستقل حول الحديث الشيعي والإمامية؛ لكن في تلك السنوات ركز الجميع اهتمامهم وخاصة الباحثون الغربيون، على الشيعة، والسبب يعود إلى انتصار الثورة الإسلامية وتأثيرها في إنهاء سلطة الاستعمار الغربي والشرقي. و لو ألقينا نظرة عابرة على العناوين والموضوعات المدونة بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ حتى عام ٢٠٠٠ لرأينا تغيير الموضوعات والدراسات في الأبحاث الغربيين حول الحديث الشيعي. يمكن تقسيم تلك الموضوعات إلى عدة أقسام: الأول الدراسات التي تتطرق إلى الحديث عند الشيعة، وتنظر إلى الأمر بمثابة تيار سياسي-فقهي، وتركز الاهتمام على قضية الجهاد والاثنى عشرية وولاية الفقيه. أما القسم الثاني، فهي تلك الدراسات التي وضعت الشيعة الإمامية في مقابل أهل السنة وتطرقت إلى قضايا مثيرة للنقاش بين الشيعة والسنة، وكذلك التفاسير التاريخية التي تدور حول منطلق الشيعة وعقائدها وتاريخها. في الحقيقة إنّ مثل تلك الأبحاث تقوم بدراسة الشيعة ومعرفتها معرفة صحيحة، التي أصبح لها الآن حكومة في إيران. من جهة أخرى، نحن نريد معرفة الشيعة الأثنى عشرية في العالم الإسلامي، والتي ينافسها السُّنَّة، ومن الضروري دراسة هذه المواجهة وأسسها ومبادئ تحدياتهما. أما القسم الثالث وهو الأقل بروزا مقارنة بالقسمَين السابقين، وظهر لأول مرة في إطار الدراسات التخصصية وأثار انتباه الغربيين، يأتي في اطار الاهتمام بالمدونات الحديثية المهمة الشيعية وبالتحديد الشيعة الإمامية. بدأت الدراسات والنقد والنظر في المدونات الروائية الشيعية بعد سنوات من انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية.[٢٩] هذا وأنّ الدراسات تمحورت حول عدة كتب مهمة وأصلية؛ وكانت قد انصبت على نهج البلاغة والصحيفة السجادية، (Chittick, 1987: English Translation) إذ ينطويان على روايات وأحاديث إمامين من أئمة الشيعة وهما الإمام علي (ع) والإمام السجاد (ع)، حملت واحدة من تلك الدراسات التي نشرت عام ١٩٧٩ في إحدى أهم مراكز الدراسات الشيعية في أوروبا؛ وهي جامعة ادينبورج، حملت عنوان: «تحليل نهج البلاغة الانتقادي» وقدمها محمد وارث حسن أطروحة لنيل الدكتوراه (Waris, 1979-B).

مع أنّ هذا الكتاب لم يكتب في إطار تخصصي، لكن يجب أن ننوّه أنّ بداية الدراسات الممنهجة والتخصصية في إطارها الواسع عند الغربيين، تعود إلى بدايات القرن الواحد والعشرين، فخرجت كتبٌ أكاديمية ومنتظمة على يد الباحثين الغربيين، و لو شاهدنا الدراسات التي أُجريَت حول نهج البلاغة أو الصحيفة السجادية أو الكتب

Archive of SID

www.SID.ir

الروائية، لرأينا أنها كانت متفرقة ومتشتتة، ولم نشاهد تيارا بحثيا ومنظما وأكاديميا يقوم بالأمر، هذا وأنّ قضية دراسة الحديث بشكل خاص، في أغلبية الكتب لم تكن محط اهتمام، كما ينبغي، هذا و دُوِّنت في الأبحاث المنظمة الجامعية كتلك التي قدمها كلبرج، أو الأبحاث التي قامت بها جامعات بريطانيا من خلال جليو ونيومن ولالاني كتبا في إطار منتظم وأكاديمي، ركزت على الروايات(حسن-نيا، ٢٠١٥: ألف، قسم ١-٣).

وبما أنّ تأليف الدكتور حسن وارث في تلك الفترة يُعَدُّ أول أثر أكاديمي غربي حول نهج البلاغة وأول دراسة نقدية لمفكر مسلم في الغرب، دقّقتُ في ثنايا هذا الكتاب المهم، وبالنظر إلى ما يحمله من امتيازات خاصة، التي نتحدث عنها فيما يلي بإسهاب، جدير بنا أن نتطرق إليه.[٣٠]

سيد محمد وارث حسن

يُعَدُّ مولانا سيد محمد وارث حسن النقوي الهندي (ت ٢٠٠٨) من الباحثين والمفكرين الكبار الذين ينتمون الى الشيعة، ذاع صيته في الغرب أكثر من الشرق. ركز اهتمامه على نهج البلاغة، وعندما كان يدرس في جامعة ادينبورج في أسكوتلندا، كتب أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، كان عنوانها «تحليل نهج البلاغة الانتقادي»، يتكون البحث من ستة فصول، يتطرق الفصل الأول إلى التعريف بنهج البلاغة ودراستها دراسة نقدية، إضافة إلى أهداف الدراسة وملخص من حياة الشريف الرضي الذي قام بجمع نهج البلاغة، وفي الفصل الثاني يلقي الكاتب نظرة أدبية على نهج البلاغة، ويتناول رأى السابقين والمتأخرين حول أصالة الكتاب والأرضية الدينية والسياسية لتلك الانتقادات وإلقاء نظرة عابرة على بعض تفاسير نهج البلاغة. أما الفصل الثالث فإنه ينطوي على أحاديث الإمام الواردة في الكتب التاريخية القديمة مقارنة بنسخ نهج البلاغة المتوفرة في يومنا هذا، و يركز الكاتب في الفصل الرابع على دراسة نهج البلاغة دراسة أدبية، ويأتي ذلك في إطار مدارسة أدب ما قبل الإسلام والقرآن الكريم. وفي الفصل الخامس يدرس الكتاب نهج البلاغة من منظار علم البلاغة ويتطرق إلى قضايا مثل السجع والمجاز والتشبيه والمقابلة والطباق، علاوة على دراسة نهج البلاغة من منظار خطابه، هذا و خصص الباحث الفصل السادس لخاتمة الكتاب.

وفي نفس العام نشر بحثا بعنوان: «تحليل نهج البلاغة بنيويا» (Waris, 1979-A)، تطرق فيها إلى أسلوب نهج البلاغة الأدبي، و لا يشكك في أصالة نهج البلاغة، إذ لا يرى ضرورة للتطرق إلى هذا الأمر، من هنا تَطرَّق إلى تحليل فحوى نهج البلاغة، وتحدَّث عن تأثيره على الأدب العربي والإسلامي، ودرس الأساليب البلاغية في نهج البلاغة كالسجع والاستعارة والتوازن وأنواع الحكم، وذكر نماذج لها وقارنها بنماذج مماثلة من القرآن الكريم (احمدوند، ٢٠١٥: ٣٣٩).

تحليل نهج البلاغة النقدي

كان هاجس وارث حسن هو إثبات أصالة نهج البلاغة بالاستفادة من مختلف الأساليب التاريخية والوثائقية والأدبية، ولهذا يركز في الفصل الأول على التعريف بهذا الكتاب، متحدثا عن الشبهات والأدلة التي قدمها المعارضون لانتساب نهج البلاغة إلى أمير المؤمنين (ع)، و في مستهل الحديث يشير إلى مكانة نهج البلاغة وأهميتها، ويؤكد على سؤال قد يتطرق إلى ذهن القارئ عند قراءته الكتاب وهو لماذا الحديث في نهج البلاغة يكتنفه الغموض لهذه الدرجة؟ ولماذا لم يذكر الطلاب المسلمون في دراساتهم ودروسهم البحثية هذا الكتاب؟(Waris, 1979-B: 224)

١.أنواع الشكاكين في نهج البلاغة

يتحدث عن سبعة آراء تشكك في أصالة نهج البلاغة، تبناها علماء من الشرق والغرب، كما يلي:

١- منهم من يشكك في بعض النظريات الواردة في الكتاب.
٢- منهم من يشكك في الكتاب بسبب اللغة المستخدمة والمصطلحات الواردة فيه.
٣- منهم من يشكك في جامع الكتاب، وعملية جمعه؛ ينسبه البعض إلى الشريف الرضي، وبعض آخر إلى أخيه سيد مرتضى.
٤- منهم من يقوم بنقد بعض العبارات التي تمسّ بعض الصحابة، ويشكك فيها.
٥- منهم من يرفض بعض موضوعات الكتاب التي تعارض الصورة التي رسمت عن الإمام (ع).
٦- هناك من يشكك في العبارات الواردة في الكتاب، التي تحقر فئات خاصة من الناس منهم النساء.
٧- منهم من يشكك في الكتاب كله أو جزء منه، من ناحية التوثيق .(Ibid: 25)

يذهب وارث بأن مصدر كل تلك الشكوك التي تدور حول نهج البلاغة، خرجت أول مرة على لسان ابن خلكان[٣١] (٦٠٨-٦٨١ للهجرة) في كتابه وفيات الأعيان، إذ أثار علامة استفهام حول الكتاب كله، ونسبه إلى السيد مرتضى: «قيل أنّ هذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث للإمام علي (ع) بل أنّ من قام بجمعه ونسبه إليه، هو من ألّف الكتاب ودوّنه .(Ibid, 26-27)

قام الذهبي بتقوية هذه النظرية في القرن الثامن للهجرة (٦٧٣-٧٥٨ للهجرة)[٣٢] من خلال إضافة بعض النظريات والعبارات، هذا وشكك عالم معاصر للذهبي وهو ابن تيمية[٣٣] (٦٦١-٧٢٨ للهجرة) - والذي كان له مكانة علمية ودينية في عصره- في أجزاء من نهج البلاغة، وأشار إلى قضايا تشكك في الكتاب أكثر مما سواها، منها ضعف الكتاب بسبب غياب سلسلة الوثائق (Ibid:27-29). في الجانب الآخر رفض ابن خلكان الكتاب كله، لكن الذهبي استفاد من

Archive of SID
www.SID.ir

عبارة «أكثره باطل»(Ibid:32-33). وفقا لما ذهب إليه الصفدي[٣٤] (٦٩٧-٧٦٤ للهجرة) لا يشكك ابن تيمية في نهج البلاغة كلها، بل يذهب إلى أنّ بعض أجزاءه صحيحة وينسبها إلى الإمام علي (ع) (Ibid:35).

ثم يشير وارث في الجزء اللاحق إلى فئة من العلماء والباحثين ظهروا في السنوات الماضية، ويؤكد أنهم يتبعون ابن خلكان في الجانب النقدي، ويبحث في آراءهم كلهم، منها آراء هارت[٣٥] وجيب[٣٦] (Ibid:45-47). ومنهم من يشكك في قسم منه مثل احمد أمين (Ibid:48-50) وصفا خلوصي[٣٧] وجميل سلطان،[٣٨] فإنهم يتبنّون تلك النظريات التي تبناها كلٌّ من ابن تيمية والذهبي.

٢.مواجهة الشارحين مع المشكّكين في أصالة نهجالبلاغة

لا تغيب عن «وارث حسن» نظرة شارحي نهج البلاغة، وأشار إلى مختلف الشروح التي كتبت حول نهج البلاغة، مصرحا أنه بعد عام ٤٠٠ للهجرة كان الشيعة يرون أنّ هذا الكتاب يتضمن أحاديث الإمام علي (ع) بلا شك، ويؤكد الشارحون الذين لا يتجاوز عددهم المائة، على أنّ كل العبارات الواردة في نهج البلاغة، وردت على لسان الإمام (ع) ، وهو من نطق بها. ثم يشير إلى ما تحدث عنه ابن أبي الحديد بصفته أحد شارحي القرآن الشهيرة، وبالرغم من كونه لا ينتمي إلى الشيعة، إلا أنه يؤكد على صحة انتساب الكتاب إلى الإمام (ع) ويرى أنه يؤمن بصحة الكتاب وانتسابه إلى الإمام (Ibid: chapter II, 59 ff).

فالكاتب يتحدث خلال هذا الفصل عن نظريتين جوهريتين: الأولى تلك النظرية التي تذهب إلى أنّ نهج البلاغة مرفوض تماما، كله أو أغلبه، فالذين تبنّوا هذه النظرية هم علماء سوريون (Ibid: 25). ومنهم عراقيون أو مصريون (Ibid:48-58) في القرون الوسطى، وبعض من العلماء في السنوات المنصرمة (Ibid:45). والنظرية الثانية تذهب إلى أنّ كل الكتاب أو جزءا كبيرا منه صحيح لا غبار عليه، وأنّ الأحاديث وردت على لسان الإمام (ع) ، ومن الذين تبنّوا هذه النظرية محمد عبده وكثير من الشارحين وعلماء نهج البلاغة (الشيعة منهم أو غير الشيعة) يقولون بهذا الرأي ويؤكدون على صحة انتساب الكتاب كله إلى الإمام علي (ع)، هذا واتخذ أحمد أمين طريقا وسطا بين الاثنين (Ibid:chapter II).

٣.تاريخ تدوين نهج البلاغة

يقدم الكاتب أدلته التي يذهب من خلالها أنّ نهج البلاغة هي أحاديث وخطب ورسائل الإمام في الفصل الثالث، ويقوي من أدلته عبر تقديم الأمثلة المختلفة، ويتطرق بداية إلى المصادر الروائية لنهج البلاغة، التي كانت لها حضورها قبل تدوين نهج البلاغة، ثم يعتبر أنّ غياب ذكر المصادر أو عدم ذكر سيد رضي لمصادر الروايات، قد شكل ذريعة لبعض العلماء منهم ابن تيمية، في اعتبارهم الكتاب مزوّرا أو ضعيف السند، ويرى بأنه نظرا إلى وجود أصل الروايات في الكتب السابقة، يصبح من الضروري معرفة المصادر كلها(Ibid:69). لهذا وباتخاذه أسلوب تدوين تاريخ الروايات والنظرة إلى الكتب والمصادر الأولية الروائية، يحاول إثبات مصادر الخطب والرسائل والحكم الواردة في نهج البلاغة. تنقسم تلك المصادر إلى ثلاثة أقسام من كتب الأدب العربي: الكتب التاريخية وكتب البلاغة، وكتب ذات صلة بهيكلة آثار الشيعة الروائية (الأصول). من ضمن تلك المصادر التي درسها محمد وارث، واستخرجت منها روايات نهج البلاغة، هي كتاب سليم بن قيس (ت ٩٠ للهجرة) ولوط بن يحيى أو أبو مخنف (ت ١٧٠ للهجرة) (Ibid:73-78). وقعة الصفين لنصر بن مزاحم (ت ٢١٢ للهجرة) (Ibid:78-90) البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ للهجرة) (lbid: 126-128) انساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ للهجرة) (lbid:90-97) أخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢ للهجرة) (Ibid:97-100) تاريخ اليعقوبي (ت ٢٨٤ للهجرة) (Ibid:100-102)، تاريخ الطبري (ت ٣١٠ للهجرة) (Ibid:101-110)، الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ للهجرة) (Ibid:111-114)، الكافي في الحديث للكليني (ت ٣٢٨) (lbid:115-124)، مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٥ للهجرة) (Ibid:124-126) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣ للهجرة) (Ibid:128-137)، وكتاب الجمل للشيخ مفيد (ت ٤١٣ للهجرة) (Ibid:137-138).

يقارن وارث حسن بين المفردات الواردة في الروايات وبين العبارات الواردة في المصدر الذي يخضعه للدراسة والتحليل، ويقدم في نهاية كل قسم فهرسا أو جدولا من العبارات المماثلة في كتاب نهج البلاغة والمصدر الخاضع للدراسة، حتى يقدم بهذا التاريخ الدقيق والصحيح لتدوين الروايات الواردة في نهج البلاغة. على سبيل المثال، يذكر كتاب سليم بن قيس ٩ انواع (Ibid:73) من الروايات أو العبارات المماثلة في فهرس منفصل، وفيما يتعلق بكتاب وقعة الصفين لنصر بن مزاحم٢٦ حالة مماثلة (Ibid:87-90).

هذا وإن الدراسة لم تثبت أنّ كل تلك العبارات والكلمات الواردة في نهج البلاغة جاءت على لسان الإمام علي (ع)، بل تنتهي إلى إثبات النظرية القائلة بأنه علينا الاعتماد على سيد رضي (رح)، أو نذهب إلى أنه فيما يتعلق بالخطب أو بعض منها، علينا القول بأنها أكثر بكثير مما نقلها السيد رضي (رح)، وهذا يكفي للاعتماد على هذا الكتاب الشريف والروايات الواردة فيه. ولا يخفى مع أنّ بعض الخطب وردت في كتب قاضي القضائي (ت ٤٥٤ للهجرة) علي بن محمد بن شاكر (ت ٤٥٧ للهجرة) والعامدي (ت ٥٥٠ للهجرة) وسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤ للهجرة)، لكن بما أنّ كل تلك الآثار كتبت بعد نهج البلاغة، لهذا لا يمكن أن تكون أدلة مناسبة لإثبات انتسابها إلى الإمام علي (ع) (Ibid:246).

Archive of SID

www.SID.ir

٤. الشقشقية، محور اهتمام المشكِّكين

بعد البحث عن تاريخ نهج البلاغة في هذا الفصل، يتحدث وارث حسن في ختام الفصل عن عدد من خطب الإمام ورسائله التي تتمتع بأهمية ومكانة خاصة بإسهاب، منها حول الخطبة الشقشقية، إذ يفرد لها مقالا خاصا، ذلك يرى بأنّ هذه الخطبة من الخطب المهمة التي ناقشها العلماء، و ينقل كلاما للذهبي حول هذه الخطبة، إذ خرج بنتيجة مفادها أنّ مثل هذه العبارة لم يتفوّه بها الإمام (ع)، هنا يشير إلى حديث ابن تيمية والآخرين، ولهذا يرى أنّ التطرق إليها على حدة يُعَدُّ أمرا ضروريا ومهما، (Ibid:139) هذا ويقوم بدراسة رسالة الإمام إلى مالك الاشتر النخعي (رسالة ٥٣ نهج البلاغة) وينقل ما ورد على لسان العلماء والشارحين في هذا المجال (Waris, Ibid:152-165).

إنّ محمد وارث نظرا إلى القضايا التي تحدث عنها الإمام(ع) في الخطبة الثالثة حول الخلفاء الثلاثة، وصف السمات الشخصية لكل منهم كما تحدث عن سمات الناس في تلك الفترة، وأشار إلى مكانته بالنسبة للخلافة، وقارن بينه وبين الخلفاء السابقين علما ومكانة، وتحدث عن الأدلة الكامنة وراء قبوله بالخلافة. يرى وارث بأنّ فحوى ما ورد في الخطبة، وضع المشكِّكين في نهج البلاغة في بوتقة نقد، لأنه يمثل تحديا حقيقيا للأسس والمبادئ التي يؤمن بها علماء أهل السنة، واحتج الإمام (ع) على سلوكهم، وقبّحها. فهو يرى أنّ الشكاكين في هذا الجانب شككوا في ذلك الجزء من نهج البلاغة التي يستنبط منها مثل هذا الفحوى وتلك الرسالة، ويدخلهم نقاشا حادا، ولا يرفضون الأجزاء الأخرى بصريح العبارة.

٥. شكوك مقبولة

بعدما يتحدث عن تاريخ تدوين نهج البلاغة معتمدا على المصادر التي كُتِبَت قبله، يرى وارث حسن أنّ الطابع الثالث لهذه الدراسة يتجلى في دراسته تلك الفئة من العبارات التي يمكن القول بصراحة بأنها مزوّرة، وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول ينطوي على تلك الأحاديث التي وردت في المصادر الروائية واللغوية في القرن الثالث حتى الثاني عشر، (منها: آثار الأصمعي (ت ٢١٣ للهجرة) والمبرد (ت ٢٨٥ للهجرة) والجوهري (ت ٤٠٦ للهجرة) ولم تستخدم في عصر الإمام (ع)، أو بعض المصطلحات الفلسفية ومصطلحات أخرى، التي لم تورد لا في القرآن ولا في الأدب ولا في الكتب في تلك الفترة (;Ibid:246-247 Ibid:chapter IV).

أما القسم الثاني فهو يعود إلى المقارنة بين القرآن الكريم ونهج البلاغة،[٣٩] هذا ويذهب ابن أبي الحديد أنّ كل ما ورد في نهج البلاغة صحيح، ولا غبار عليه، لكن يرى محمد وارث أنّ بعض العبارات الواردة في الكتاب ليست للإمام علي (ع). يقول ابن أبي الحديد: إنّ التمييز بين القائل والكاتب يتجلى في اثنين: أولا في المفردات التي يستخدمها، ثم في مجموعة المفردات التي تستخدم في إطار الجملة. ويصرح: إنّ نهج البلاغة مأخوذة من القرآن الكريم (Ibid:228-229). لكن وارث حسن نظرا إلى اخذ تلك الحقيقة بعين الاعتبار التي تقول إنّ القرآن الكريم إلى جانب النصوص الجاهلية هو النص الوحيد الذي بقي بعيدا عن التحريف والتغيير ولا يجوز مقارنة نهج البلاغة معه، لهذا استخرج عدة عبارات ومفردات من نهج البلاغة التي لم تكن متناسقة مع الآيات والعبارات القرآنية ولا تتبع ذلك الأسلوب والسياق. إنّ النتيجة التي يستنبطها تفيد أنّ تلك العبارات بسبب تناقضها مع أسلوب القرآن الكريم، يغلب الظن بأنه للإمام علي (ع)، وعلينا مناقشتها كثيرا والبحث في ثناياها (Ibid:232).

في هذا الجزء يستشهد بمفردات وعبارات، منها السلعة (وردت في الخطبة ١٤٣) لكن ورد في القرآن مفردة متاع، بمعنى الجارة والسلعة. وردت متاع في القرآن ٢٩ مرة (Ibid:234). لو افترضنا أنّ مفردة السلعة كانت تستخدم في عهد الإمام علي (ع)، حتى أنه استخدمه في ٦ خطب،[٤٠] فلابد أن تُستَخدَم مرة واحدة في القرآن الكريم حتى في جانب استخدام المفردات المختلفة المرادفة (Waris, 1979-B: 234). أما المفردات والعبارات الأخرى التي استخدمها هي الحوائج (في الخطب ١٠١ و٣٧٢ و٥١) (Ibid:234-235) والجبرية (وردت في خطبة ١٦٧) المعروفة بالخطبة القاصعة (Ibid:235-238)، وتزعزت سواري اليقين (في الخطبة الثانية) (Ibid:238-239)، والطخية (في الخطبة الثالثة) (Ibid:239)، وسجيس الليالي (في الخطبة ٣٣) (Ibid)، واللقم (في الخطبة ٥٥) (Ibid: 239-250)، والزبرة (في الخطبة ٨٠) وقضايا حول الخطبة ٨٧ (المعروفة بخطبة الأشباح) (Ibid:240-243). إنّ تلك الأمثلة والشواهد تبين أنه لا يمكن الادعاء بأنّ نهج البلاغة صحيح تماما، بل يبدو أنّ الخطب خضعت فيما بعد لإعادة النظر والتنقيح على يد الكتاب. هذا وأنّ السيد رضي (رح) هو المسئول عن هذا التغيير (Ibid:243).

٦. الخطب، وثيقة الصحة

أما ذلك القسم الذي أُثبِتَ أنّه كلام الإمام علي (ع) يمكن البرهنة عليه بدليل قوي آخر. إنه قسم خطب نهج البلاغة، والشاهد هنا هو أهمية قضية الخطابة في الأدب الجاهلي إضافة إلى نثر تلك الفترة، وتأييد الإسلام لهما، ودور الخطبة في الدول الإسلامية، وإكمال هذا الدور على يد الأجيال التالية. يشير وارث في هذا القسم إلى أحاديث بعض الشكاكين منهم خلوصي (Ibid:chapter II) الذين اعتبروا السجع وأمثاله في خطب الإمام (ع) تعارض صحة انتساب نهج البلاغة إلى الإمام (ع) ويأتي بأمثلة كثيرة ردا على هذه النظرية. فهو يستند إلى السجع في النثر الجاهلي وفي كلمات الخطباء والكهنة في

Archive of SID

www.SID.ir

تلك الفترة، بصفتها الهيكلة الرئيسية للخطاب الأدبي في تلك الفترة، ويستنتج أنّ كلام أمثال خلوصي في هذا المجال القاضية بعدم صحة نهج البلاغة، لا أساس لها، (Ibid:Chapter IV) وأنه يستند على الأشعار الجاهلية والنثر في تلك الفترة، ويرى أنّ هناك أدلة حول القافية (النظم والنثر) في كلام الإمام في نهج البلاغة، وهي كثيرة لدرجة لا يمكن القول أنّ شخصاً ما قالها تقليدا من الأدب الجاهلي .(Ibid:183)

في قسم آخر من هذا الفصل يتطرق إلى نماذج أخرى من عبارات القرآن الكريم، ويقارنها بعبارات من نهج البلاغة، ويرى أنّ مثل هذه التشابهات تساعد كثيرا على التأكد من صحة ما ورد في الكتاب وانتسابه إلى عصر نزول القرآن، ويقول: لو نظرنا إلى نص نهج البلاغة، لرأينا تأثُّرَ نهج البلاغة من القرآن الكريم. هناك الكثير من الأمثلة من المفردات أو الفحوى الكلامي (في جانب المعنى والمفهوم) التي أخذت مباشرة من القرآن الكريم. إضافة إلى الآيات والعبارات التي نقلت مباشرة من القرآن الكريم (Ibid). يشير وراث حسن إلى الحالات التسعة من العبارات والمفردات البارزة في القرآن التي وردت في نهج البلاغة بلا تغيير. ويقول: إنّ تلك الإشارات الصريحة تؤدي إلى تقوية نظرية صحة نهج البلاغة روائيا أكثر من ذي قبل (Ibid:183-190).

٧.البنية الأدبية والبلاغية لنهج البلاغة

يتحدث الفصل الأخير من هذه الرسالة عن قضية معرفة بنية نهج البلاغة التي اعتمدت فيها البنية الأدبية والبلاغية أكثر مما سواها، يذهب وارث أنّه يجب الاهتمام بذلك الجزء من نهج البلاغة الذي يبدو أنّ لسيد الرضي الدور البارز بصفته مؤلِّفا للكتاب، فهو يرى أنّ السيد الرضي نظرا إلى مكانته في البلاغة ومعرفته التامة بالأدب العربي، حاول أن يغير بعض العبارات والمفردات كما كان يحلو له. يرى وارث أنّ السيد الرضي لعب دور المنقح في هذا المجال، فقام بتغيير بعض المفردات حتى يزيدها رونقا ويضفي عليها جانبا بلاغيا، على سبيل المثال مفردة اللقم في الخطبة ٥٥، يغلب الظن أنه غيّرها، ذلك أنّ العبارة التي وردت في كتاب نصر بن مزاحم، هي "على أمض الألم"، وأنّ هذه العبارة الثانية تتناسق مع سياق ونص كلام الإمام كثيرا.

تبين الدراسات التي تحدث عنها في الفصل الثاني أنّ من نظروا إلى نهج البلاغة بعين الريبة سواء في القرون الوسطى أو المعاصرين، فإنّ أكثرهم يعترفون بصحة أجزاء غير محددة من نهج البلاغة، هذا وأنّ المعارضين لهم، يشيرون إلى أجزاء محددة منه في جانب الفحوى، على سبيل المثال يركز الذهبي وابن تيمية على صحة الخطبة الثالثة، وفي الواقع أنّ الرسالة كانت تريد أن تبحث عن معرفة تلك الأجزاء من نهج البلاغة الصحيحة وإذا كانت بعض الخطب مثل الثالثة محل النقاش فإنّه قام بدراستها على حده.

الخاتمة

يمكن القول بشكل عام أنّ الأثر التحليلي والوصفي والانتقادي الذي ألّفه محمد وارث حول نهج البلاغة، قبل ما يقارب أربعة عقود، وفي فترة لم يكن للدراسات الجيدة والتخصصية أثر في هذا المجال، وخاصة في المراكز العلمية والجامعية الغربية، جعلت هذا الكتاب والكتب الحديثية الشيعية الأخرى، تدخل حيّز اهتمام العلماء والباحثين. كتب وارث كتابه وسط أجواء العالم الغربي إذ واجهت ثورة شيعية وحديثة وشعبية ودينية مستقلة في إطار مؤسسة سياسية وحكومية في الشرق، ولا يخفي أنّه لم يكن أحد يولِّي اهتماما بالشيعة ولم تكن في بؤرة اهتمام آراء الغربيين، والمؤسسات الغربية، لكن ظهور الثورة الإسلامية، ومواجهة بعض الدول الغربية معها، جعل اهتمامهم بهذه الفرقة السياسية الإسلامية يشهد تغييرا خاصا، ومن هنا يأتي تأليف هذا البحث ويمكن أن يُعَدَّ منعطفا أو على أقل تقدير مصدرا مهمّا في دراسات المستشرقين حول نهج البلاغة وأدب الشيعة التقليدي.

من جهة أخرى تُعَدُّ دراسة رسالة حسن وارث مفيدة وتفتح الكثير من الأبواب بوجه الباحثين الغربيين بل الشيعة والمسلمين الباحثين في هذا المجال، فهو في تأليفه يهدف أن يبرهن على أحقية الخطب وأحاديث الإمام (ع) وأن يردّ على شبهات المستشرقين وبعض علماء الإسلام حول عدم انتساب الكتاب إلى الإمام (ع)، والقول بتزوير كل الكتاب أو جزءا منه، وأن يقدم القضايا مرفّقة بذكر نماذج ملموسة من نهج البلاغة وآراء مختلف المفكرين، وذكر المصادر التاريخية والمهمة. تأتي مساعيه جديرة بالاحترام والتبجيل بغية رفع الشبهات والرد على سبعة أصناف من المشككين، الذين يشير إليهم بداية الفصل الأول.

من المساعي الحميدة التي قام بها محمد وارث في تأليفه العلمي الثمين، هو تدوين تاريخ نهج البلاغة، قضية ليس لها تاريخ طويل منذ أن دخلت حقل الحديث والقرآن الكريم[٤١] أنّ هذا الأمر ورد بصورة عابرة من خلال كتابات بعضهم مثل جليو، فهو يعترف أنّ هناك الكثير لابد من القيام به، ولم يتفق الجميع عليه.[٤٢] يبدو أنّ هذا البحث (تدوين تاريخ الروايات) لو تعرض إلى الدراسة والبحث كما ينبغي، سيظهر أصالة الحديث الشيعي في أبحاث المستشرقين أكثر من ذي قبل. لهذا يأتي ما قام به محمد وارث بصفته أول مَن ركز الاهتمام على تدوين تاريخ الروايات، من منظار كتاب روائي مهم في الشيعة، فتعد كتابة تاريخ تدوين نهج البلاغة، عملا جديرا بالاهتمام.

وأخيرا إنّ كتابة مصادر الروايات الواردة في نهج البلاغة، وخاصة الخطب، بالاستعانة من الكتب التاريخية والروائية السابقة عليها، وبالنظر إلى المفردات والعبارات الواردة في نهج البلاغة، ومقارنتها مع المصادر السابقة عليها، وخاصة مصادر العهد الجاهلي، ومقارنتها مع نص القرآن الكريم مقارنة دقيقة، تعد من المساعي الثمينة التي قام

Archive of SID

www.SID.ir

بها، مع أنه في يومنا هذا اهتم الكثير من باحثي الشيعة بهذا الأمر المهم، وألفوا كتبا ثمينة في هذا المجال، لكن تأتي مساعي محمد وارث بصفتها أول المساعي المنجّزة في الأوساط العليمة الغربية، وفي فترة لم نر أي كتاب في هذا المجال، فهذا الأمر يزيد من قيمة عمله.

هذا وإنّ وارث يشكك في انتساب نهج البلاغة كلها إلى الإمام (ع) ويرى أنّ بعض العبارات والمفاهيم والمفردات الواردة في تلك الفترة، لم تستخدم في عهد الإمام (ع) وهي من تأليف كتاب منقحين في العصور التالية، وللسيد الرضي دور بارز في هذا الأمر. إنه في هذا القسم يشير إلى بعض العبارات والمفاهيم والمفردات التي وردت في الكتب المؤلفة في العصور التي تلت عصر الإمام (ع) وعدم ورودها في نص القرآن الكريم، بصفته النص التقليدي المصان من التحريف، والمتبقي من عهد الإمام (ع) ويقوي نظريته بإسهاب.

الهوامش

١ - جامعة أدينبورج إسكتلندا، قسم الدراسات العربية والإسلامية.

2-Oxford

3-Leiden

٤- هذه المقالة تأتي ضمن مجموعة من أبحاث مؤتمر التشيع والمقاومة والثورة لجامعة تل أبيب الذي أقيم عام ر١٩٨٤

5-Etan Kohlberg

٦- IgnácGoldziher عُدَّ أباً للدراسات الإسلامية (والدراسات الشيعية) الأكاديمية في الغرب. (تقي زادة، ٢٠٠٧: المقدمة ص ١٢).

٧- Theodor Nöldeke من أبرز المستشرقين الألمانيين ومن مترجمي القرآن للغة الألمانية، ألّف كتاب تاريخ القران الشهير.

٨- هناك فهرسا مسهبا حول الدراسات التي نشرت بعد انتصار الثورة الإسلامية حول التشيع. (حسيني، ١٣٨٨).

9-Index Islamicus

١٠- من صفحة ٨٧ حتى ر٨٨

11-Dwight M. Donaldson

12-Shi'iteReligion: a History of Islam in Persia and Iraq

١٣- باحث إيراني في حقل الفلسفة وأستاذ جامعة كولن الألمانية، ولمكتبته حول الدراسات الشيعية، صيت عالمي.

١٤- باحث إيراني يعمل في مؤسسة الدراسات الإسماعيلية في لندن.

15-Gérard Lecomte

16-Harald Motski

17-Standardization

١٨- حول تاريخ الكتب والأفكار الغربية الدائرة حول الإمام علي(ع) وأحاديثه أنجزت أبحاث كثيرة، يمكن للقراء المراجعة اليها: فالحي (٢٠٠٥)؛غضنفري (٢٠١٥)؛ احمدوند (٢٠٠٩).

١٩- ادوارد بوكاك (١٦٩٢-١٦٤٠ م) بريطاني ولد في يوركشر (للمزيد عنه انظر مجموعة المؤلفين والمترجمين ٢٠١٠: ٣ / ٢١٣؛ غنفضري ٢٠١٥).

20-Gerard Kuypers

21-Gerardus J. Lette

22-Levin Warner

23-Cornelius van Waenen

24-Johann Gustav Stickel

25-William Weston

26-William Yule

27-M. Heinrich Leberecht Fleischer

٢٨-لمعرفة ببلوجرافيا تلك المجموعات والكتب ذات الصلة بها (صادقي رشاد،٢٠١٠؛الفهداوي، ٢٠١٤: ٣٤٠).

٢٩- للمزيد عن تلك الأبحاث انظر حسن‌نيا (٢٠١٧=٦ –ب) ولقراءة بحث مسهب حول المسار التاريخي والتطوري للكتب الغربية حول حديث الشيعة (حسن‌نيا،٢٠١٦: القسم الف ٣-١).

٣٠- قد يتبادر هذا السؤال إلى ذهن القاري وهو لماذا صنفنا وارث حسن وهو مسلم شيعي وشرقي ضمن المستشرقين؟.

ان ما يمكن الخروج بها بصفتها ملتقى للتعريفات المختلفة، هو ان الاستشراق هو معرفة الشرق ودراسته على يد غير الشرقيين (يمكن العثور على مجموعة من تلك الأفكار في اغلبية الأبحاث في مجال الاستشراق (زماني،٢٠١٠؛ناجي، ٢٠١١؛ شيني ميرزا، ٢٠٠٧؛جديدي بناب، ٢٠٠١٥؛ الويري، ٢٠٠٣: ٨؛ اسعدي، ٢٠٠٣: ٢٥) وكذلك لمعرفة أفكار ادوارد سعيد (خالد سعيد، ٢٠١٤: الفصل الرابع الاستشراق).

ان هذا المفهوم يختلف عما نعرفه اليوم، قليلا، ذلك ان بعض المستشرقين هم شرقيون لكنهم على علم بالروح السائدة على الكتب الغربية حول الشرق، على هذا لو اردنا تقديم تعريفا دقيقا منه، جدير بنا ان نتحدث عن دافع الفرد وهدفه من دراسة الشرق، بدلا من القول بانه غربي أو شرقي، بعبارة اجل من الأفضل ان نقول ان الشرق هو تلك المنطقة الجغرافية الواقعة شرقا لكن الغرب لا يشابه الشرق، ان الغربي أو المستشرق هو الذي درس الشرق لكنه ليس بالضرورة ان يسكن الغرب، وربما يسكن احدى الدول الغربية، ان دافع المستشرق مهما كان سلبيا أو إيجابيا، لكنه ما ان درس الحضارة والثقافة والتقاليد والقضايا الاجتماعية والسياسية والناس والادب كما تكونت في الشرق، وسار على منهج الغربيين، فانه يكون مستشرقا بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

نرى بان المستشرق هو ذلك الشخص الذي قام بدراسة الشرق أو منطقة أخرى، بالتناسق مع الغربيين وخاصة عندما يكون الإسلام والدول الإسلامية هي القضية المدروسة، أو كان قد تطرق إلى منطقة

Archive of SID

www.SID.ir

من الشرق تدين بالإسلام، لو قمنا بتحديد دراسة المستشرق في إطار الإسلام أو التشييع، يمكن لهذه الدراسة ان تنطوي على الأراضي غير الشرقية لكنها مسلمة، لهذا يعتبر محمد وارث مستشرقا مع انه عاش في الغرب لكنه درس الشيعة والحديث بأسلوب الغربيين.

هذه النقطة تتناسق مع أفكار اشخاص مثل موتسكي، الذي يرى بان الدراسات الغربيين أو غير المسلمين ليست تلك الدراسات التي تكون كلها غربية أو غير مسلمة، بل ان الموضوع هنا هو اتباعها الأساليب الغربية(موتسكي، ١: ٢٠١١هامش ١).

٣١- شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد.

٣٢- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد.

٣٣- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم.

٣٤- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

35-Clement Huart

36-H. A. R. Gibb

37-Kholusi, S. "The Authenticity of Nahj al-Balagha"

38-Sultan, J. *Etude sur Nahj al-Balagha*

٣٩- يأتي وارث بهذا البحث تحت عنوان المورووفولوجية الأدبية لنهج البلاغة في الفصل الخامس، ونذكر هنا بسبب تناسق الموضوعات.

٤٠- خطب ٣ (مرتان) ٢٤ و١٦و٣٣و٨٠ (مرتان).

٤١- منها تاريخ القرآن لنولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠) قام باعداده تلميذه شفالي.

٤٢- يصرح جليو (٢٠١٥) أنّ إحدى النظريات القوية حول أصالة الأدب الحديثي الخاص بالشيعة (مقارنة بأهل السنة) يمكن العثور عليها في تراث الشيعة المكتوب (لحسين مدرس طباطبائي) إنّ مجموعة المعلومات الواردة هناك تبين أنّ الحديث المنسوب إلى أئمة الشيعة، الذي يستمر حتى القرن التاسع، يواجه مشاكل أقل فيما يتعلق بتاريخية أحاديث الشيعة مقارنة بالأحاديث السنية (تدعي الأحاديث السنية أنها تعود إلى بداية تاريخ الإسلام) (المصدر نفسه).

المصادر

- *القرآن الكريم.*
- احمدوند، عباس و سحر كاوندى (٢٠٠٩). «*پژوهش‌هاى خاورشناسان درباره‌ى نهج البلاغه*»، *علوم حديث*. العدد ٣-٤. ٣٣٠-٣٤٣.
- اسعدى، مرتضى (٢٠٠٤). *مطالعات اسلامى در غرب انگليسى زبان از آغاز تا شوراى دوم واتيكان*. تهران: سمت.
- اميرخانى‌فراهانى، فاطمه (٢٠١٥). *اسلام‌شناسى و اسلام‌شناسان: از شناخت تا تعامل*. العدد الرابع. من مجموعة معلومات لمستشار ثقافي. تهران: الهدى. الطبعة الاولى.
- تقى‌زاده‌داورى، محمود (٢٠٠٧). *تصوير امامان شيعه در دايرة المعارف اسلام (ترجمه و نقد)*. قم: مؤسسه شيعه‌شناسى. الطبعة الاولى.
- جديدى‌بناب، على (٢٠١٥). *تحليل و بررسى آثار مستشرقين دربارهٔ تشيّع*. تهران: شبكهٔ انديشه.
- حسن‌نيا، على و على راد (٢٠١٦. ب). *خاورشناسان و حديث اماميه؛ طبقه‌بندى و تحليل پژوهش‌ها*، *علوم حديث*. السنة٢٠. العدد ٧٨. ٢٣-٥٩.
- حسن‌نيا، على (٢٠١٦. الف). *تحليل انتقادى (حديث شيعه از نگاه مستشرقان)*. أطروحة الدكتوراه. جامعة طهران (قسم فارابى).
- حسينى، غلام‌احياء (٢٠١٠). *ويژگى‌هاى مطالعات شيعى در غرب انگليسى زبان*. تحقيق: الدكتور محمدرضا بارانى. مجموعهٔ مقالات مؤتمر التشيع والمستشرقين، ١٨-٥٦. قم: مؤسسهٔ انتشارات خاكريز. الطبعة الاولى. عنوان هذا المجلد: ديدگاه‌ها در بارهٔ خاورشناسان.
- خالد، سعيد و ادوارد سعيد (٢٠١٤). *منتقد شرق‌شناسى: بررسى انديشه و ميراث فكرى ادوارد سعيد*. مترجم: حميدرضا صادقى. قم: صحيفه. الطبعة الاولى.
- راد، على (٢٠١٥). *مهدويت در نگاشته‌هاى مستشرقان .دانشنامهٔ امام مهدى (عج) بر پايهٔ قرآن، حديث و تاريخ* (محمد الريشهرى). مترجم: مسعودى و عبدالهادى با همكارى سيدكاظم طباطبائى و جمعى از پژوهش‌گران. قم: پژوهشگاه قرآن و حديث (سازمان چاپ و نشر دارالحديث). الطبعة الاولى.
- زمانى، محمدحسن (٢٠١٠). *آشنايى با استشراق و اسلام‌شناسى غربيان*. قم: انتشارات بين‌المللى المصطفى. الطبعة الاولى.
- سيدرضى، محمدبن حسين (٢٠١٠). *نهج البلاغة*. ترجمة: محمد دشتى. قم: مؤسسة تحقيقاتى امير المؤمنين (ع). الطبعة الثمانية وأربعون.
- شينى‌ميرزا، سهيلا (٢٠٠٧). *مستشرقان و حديث: نقد و بررسى ديدگاه‌هاى گلتسيهر و شناخت*. تهران: نشر هستى‌نما. الطبعة الاولى.
- صادقى‌رشاد، على‌اكبر (٢٠٠٩). *كتاب‌شناسى و مرجع‌شناسى*. ج ١٢ من *دانشنامهٔ امام على (ع)*. قم: انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و انديشهٔ اسلامى.

Archive of SID

www.SID.ir

- غضنفری، زیور (۲۰۱۵). *بررسی سیر تاریخی پژوهش‌های خاورشناسان انگلیسی‌زبان درباره نهج البلاغه*. الرسالة المقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة يزد.
- فالحی، نورعلی (۲۰۰۵). *امام علی (ع) از دیدگاه مستشرقان*. تهران: انس تک.
- *فرهنگ خاورشناسان: زندگی‌نامه و کتاب‌شناسی ایران‌شناسان و اسلام‌شناسان*. (۲۰۱۰). تهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی. الطبعه الأولی.
- فلاطوری، عبدالجواد (۱۹۷۲). *تحقیقی در عقاید و علوم شیعه. فی یادنامهٔ علامهٔ امینی*. تحقیق: سید جعفر شهیدی و محمدرضا حکیمی. تهران: شرکت سهامی افست.
- الفهداوی، عمار (۲۰۱٤) *سخنان امیرالمؤمنین علیه السلام به انتخاب ثعالبی، امامت‌پژوهی*. العدد ۲-۳.
- گلیو، روبرت (۲۰۱۵). *آخرین تحقیقات در تاریخ تشیّع متقدم*. ترجمهٔ: مجید منتظرمهدی. *امامت‌پژوهی*. السنة الثالثة. العدد ۱۱. ۲۳۵-۲٦۲.
- مدرّسی‌طباطبایی، حسین. (۲۰۰۸). *میراث مکتوب شیعه از سه قرن نخستین هجری*. ترجمهٔ: علی قرائتی و رسول جعفریان. قم: کتابخانه تخصصی ایران و اسلام، الطبعة الثانية.
- موتسکی، هارالد. (۲۰۱۱). *حدیث اسلامی، خاستگاه‌ها و سیر تطور*. تحقیق: مرتضی کریمی‌نیا. قم: دارالحدیث.
- ناجی، عبدالجبار. (۲۰۱۱). *التشیع والإستشراق*. عرض نقدی مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعة وأئمتها. بغداد و بیروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، توزيع منشورات الجمل. الطبعة الأولی.
- الویری (خندان)، محسن. (۲۰۰٤). *مطالعات اسلامی در غرب*. تهران: سمت. الطبعة الاولی.

المصادر الإنجليزية:

- Chittick, William C. (1987). *As-Sahifa Al-Kamilah Al-Sajjadiyya* [The palms of Islam], a Translation: Introduction. Qom: Foundation of Islamic Cultural Propagation in the World.
- Daftary, Farhad and Miskinzoda, Gurdof (editors)(2013). *The Study of Shi'i Islam: History, Theology and Law, (Shi'i heritage series)*. I.B. Tauris.
- Gérard Lecomte. (1970)"Aspects de la literature du Hadīṯ chez les Imamites". in *Le shīīsmeimôamate*. Colleque de Strasbourg (6-9 mai 1968), Paris, pp. 91-103.
- Kohlberg, Etan. (1991). "The Evolution of the Shia", in: *Belief and Law in Imami Shi'ism*, Varisorum Reprints, Aldershot.
- Kohlberg, Etan. (1987). "Western Studies of Shi'a Islam", in Martin Kramer (ed.), *Shi'ism. Resistance and Revolution*. Boulder, Co: Westview Press.
- Tabatabai, Allamah Sayyed Muhammad Husayn. (1975). *Shi'ite Islam*. Translated and Edited by Seyyed Hossein Nasr, State University of New York Press.
- Turabi, Rasheed, trans. (2003). "Hazrat Ali's Famous Epistle to MalilAshtar, Governor of Egypt." Ismaili Web.
- Waris Hassan, Syed Mohammad. (1979-A). "The Stylistic Analysis of Nahjulbalagha", in al-Serat, vol.5(1), pp. 7-20.
- ---------- (1979-B). *A critical Study of NAHJ AL-BALAGHA* [Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy], the University of Edinburgh.

Archive of SID

www.SID.ir